

الجارديان: ازدياد الغرب لحياة الفلسطينيين لن يُنسى



الثلاثاء 23 يناير 2024 05:01 م

أشارت صحيفة "الجارديان" إلى أن نخب الغرب السياسية والإعلامية متواطئة في كابوس غزة، قائلة إنها "فقدت أي بقايا من السلطة الأخلاقية إلى الأبد".

وبدأت الصحيفة تحليلها الذي كتبه "أوين جونز" متساءلة باستنكار: "ما هي قيمة الحياة الفلسطينية؟".

وأضافت: "بالنسبة لأولئك الذين يحتفظون بأوهام لم يتم دفنها بالفعل تحت أنقاض غزة إلى جانب عائلات بأكملها، قدم "جو بايدن" إجابة محددة الأسبوع الماضي؛ ففي بيان بمناسبة مرور مائة يوم على بدء الربيع الحالي، أظهر "بايدن" بالفعل تعاطفه مع محنة الرهائن وأسره المصابة بالصدمة. ومع ذلك، لم يكن هناك أي ذكر للفلسطينيين".

عدم اهتمام السياسيين ووسائل الإعلام على حد سواء بإخفاء ازديادهم للحياة الفلسطينية سيكون له أهمية كبيرة. والحقيقة أن هذه الظاهرة ليست جديدة، وهذه التذاعيات أصبحت واضحة الآن بعنف. ولو لم تتجاهل الدول القوية في العالم بوقاحة ثلاثة أرباع مليون فلسطيني طردوا من ديارهم قبل 76 عامًا، مصحوبين بما يقدر بنحو 15 ألف شخص يعانون من الموت العنيف، لما تم زرع بذور الحصاد المرير اليوم.

وتابعت "الجارديان": "كم من الناس يعرفون أنه في العام الماضي، قُتل 234 فلسطينيًا على يد القوات الإسرائيلية في الضفة الغربية وحدها، أكثر من ثلاثين منهم من الأطفال؟ يقولون أن الحياة رخيصة يبدو أنه لا معنى لها إذا كنت فلسطينيًا". ولو كان هناك بعض القيمة للحياة الفلسطينية، لربما لم تكن لتحدث عقود من الاحتلال والحصار والاستعمار غير القانوني والفصل العنصري والقمع العنيف والمذابح الجماعية.

وحتى البعض الذين استسلموا للامبالاة الغربية تجاه حياة الفلسطينيين ربما توقعوا أنه بعد هذه المذبحة القاتلة، سينهار السد في نهاية المطاف. من المؤكد أن 10 آلاف طفل يعانون من الموت العنيف، أو 10 أطفال يتم بتر ساقيهم أو ساقهم كل يوم، غالبًا بدون مخدر، من شأنه أن يثير مشاعر قوية. ومن المؤكد أن 5500 امرأة حامل تلد كل شهر - والعديد منهن يخضعن لعمليات فيضرية دون تخدير - أو وفاة الأطفال حديثي الولادة بسبب انخفاض حرارة الجسم والإسهال، من شأنها أن تثير اشمئزازًا لا يمكن إيقافه. من المؤكد أن التوقعات بأن ربع سكان غزة قد يموتون، في غضون عام، بسبب تدمير إسرائيل لنظام الرعاية الصحية وحده. من المؤكد أن القصف الذي لا نهاية لها عن عمال الإغاثة والصحفيين والمسعفين الذين يتم قتلهم مع العديد من أقاربهم - أو حتى عائلاتهم بأكملها - بسبب صاروخ إسرائيلي ستؤدي في النهاية إلى إثارة جوقه ساحقة في المجتمع الغربي تقول: هذا اختلال وجنون حقير، ألن يتوقف؟ ولفتت "الجارديان" إلى أن التقليل من قيمة الحياة الفلسطينية ليس افتراضًا، بل هو حقيقة إحصائية. ووفقًا لدراسة جديدة للتغطية في الصحف الأمريكية الكبرى، فإن مقابل كل وفاة إسرائيلية يتم ذكر الإسرائيليين ثمانين مرات - أو بمعدل 16 مرة أكثر من وفاة الفلسطينيين. وقد وجد تحليل لبي بي سي أجراه متخصصا البيانات "دانا نجار" و"جان لبيتافا" تفاوتًا مماثلًا، وأن المصطلحات الإنسانية مثل "الأم" أو "الزوج" كانت تستخدم بشكل أقل بكثير لوصف الفلسطينيين، في حين أن المصطلحات العاطفية مثل "مذبحة" لم تذكر إلا بذكر الإسرائيليين.

وأردفت "الجارديان": "بداية، علينا أن ننسى أي ادعاءات غريبة مستقبلية بشأن حقوق الإنسان والقانون الدولي. لقد نظر الكثير من العالم بالفعل إلى هذا التبرير الذاتي بازدراء، باعتباره مجرد أحدث خدعة لتعزيز المصالح الاستراتيجية للبلدان التي أصبحت غنية على حساب بقية العالم: قرون من الاستعمار الذي كان في كثير من الأحيان إبادة جماعية ولدت سخرية دائمة، كما فعل المزيد من الناس. حمامات الدم الأخيرة مثل حرب العراق، أو الدعم النشط للأنظمة الاستبدادية المرنة عبر قارات متعددة. وبعد أن قام الغرب بتسليح إسرائيل ودعمها في حين فرضت الموت الجماعي على غزة من خلال القنابل والرصاص والجوع والعطش وتدمير المرافق الطبية، لن يستمع أحد غير السذج إلى مثل هذه الادعاءات مرة أخرى".

لكن ليست الدول الأخرى فقط هي التي يجب أن تشعر النخب السياسية والإعلامية الغربية بالذعر منها؛ فهي تواجه الانهيار الأخلاقي في الوطن أيضًا. لقد نشأت الأجيال الشابة في دول مثل الولايات المتحدة وبريطانيا وهي تتعامل مع العنصرية بجدية أكبر بكثير من تلك التي سبقتها، وتظهر استطلاعات الرأي أنهم أكثر تعاطفًا مع الفلسطينيين من المواطنين الأكبر سنًا. إنهم مستخدمون متعطشون لوسائل التواصل الاجتماعي، حيث يشاهدون لقطات من الفضائح التي لا نهاية لها في غزة، والجنود الإسرائيليين الذين يرتكبون جرائم الحرب بكل سرور كوقود للتسلية العامة.

وقال المحامي الأيرلندي "بلين ني جرايغ"، أثناء عرضه لقضية جنوب أفريقيا ضد إسرائيل في محكمة العدل الدولية، إن هذه "أول إبادة جماعية في التاريخ حيث ييئ ضحاياها الدمار الذي لحق بهم في الوقت الحقيقي وسط أمل يائس، لا جدوى منه حتى الآن، في أن يفعل العالم شيئاً ما".

بالنسبة للأجيال الشابة التي شاهدت العديد من مقاطع الفيديو لأمهات يصرخن ويمسكن بجثث أطفالهن حديثي الولادة، ما رأي هؤلاء الشباب إذن في التغطية الإعلامية، أو تصريحات السياسيين، التي لا يبدو أنها تتعامل مع الحياة الفلسطينية على أنها ذات قيمة على الإطلاق؟ ما هي الاستنتاجات التي يتم استخلاصها بشأن الأقليات السكانية المتزايدة في الدول الغربية التي لا تبذل نخبها الإعلامية والسياسية سوى القليل من الجهد لإخفاء ازدهارها للحياة الفلسطينية بينما يتم إخمادها على هذا النطاق التوراتي؟ وختتمت الصحيفة: "لذا نعم، لقد رأينا كيف أن رفض معاملة الفلسطينيين كبشر جعل كابوس اليوم لا مفر منه. يمكننا أن نرى كيف يتم تمزيق الادعاءات الأخلاقية المستخدمة لتبرير الهيمنة الغربية على العالم بشكل دائم. لكن لم يتم التفكير كثيراً في كيفية قيام النخب السياسية والإعلامية في الدول الغربية بإشعال النار في سلطتها الأخلاقية، وتركها تتفاقم جنباً إلى جنب مع آلاف الجثث الفلسطينية المجهولة الهوية المدفونة تحت الأنقاض. من المؤكد أنها نقطة تحول، مع عواقب لن يتم فهمها إلا بعد فوات الأوان".

<https://www.theguardian.com/commentisfree/2024/jan/21/palestinian-lives-gaza-politics-media>